طالوت وداود وسليمان عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ (البقرة:٢٤٧)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (النمل:١٥ ، ١٦)

صدق الله العظيم

نحن نعرف كيف ضايق اليهود نبى الله موسى عليه السلام. .لم يذعنوا لما طلبه منهم. .وعندما أمرهم عليه السلام أن يتوجهوا إلى أرض كنعان ذعروا لأنهم لا يريدون الحرب فهم يخشون القتال وذهبت كلمات موسى عليه السلام أدراج الرياح. .لم تجد منهم آذانا صاغية. !

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ٢٠].

وكان جوابهم:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا لموسى عليه السلام أيضاً:

﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولم يجد موسى عليه السلام أملا فى قومه، فرفع إلى الله أمره ودعاه أن يفرق بينه وبين هؤلاء القوم العصاة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

وكان عقاب الله شديدا، فقد استجاب لدعاء نبيه موسى عليه السلام، أما قومه فقد عاقبهم بالتيه فى سيناء أربعين عاما.

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٦].

لقد عاشوا فى التيه.

ومات نبى الله موسى عليه السلام وقبله بعام كان قد انتقل هارون إلى جوار ربه.. وقاد «يوشع بن نون» خليفة موسى هؤلاء اليهود وطلب منهم أن يذهبوا إلى فلسطين، وتمكن بالفعل من دخول فلسطين وبيت المقدس.. ومات يوشع، وحاول اليهود الدخول فى حرب أخرى مع الفلسطينيين.. وحملوا معهم تابوت العهد.. وبه توراة موسى عليه السلام.. وكانوا يحملون تابوت العهد للتفاؤل به، ولكن الفلسطينيين انتصروا عليهم وأخذوا منهم تابوت العهد.. وتشرد اليهود من جديد.

ومرت السنوات وجاء النبى صمويل إلى بنى إسرائيل وكان يقضى بين بنى إسرائيل، وكان له ولدين يتوليان القضاء بين الناس.. ولكن الابنين ضلا الطريق وضاق الناس بهما ذرعا وطالبوا صمويل أن ينحى ولديه، وأن يعيِّن عليهما ملكا، حتى يستطيع أن

يجمع شمل بنى إسرائيل، ويعيد إليهم المجد الذى ضاع وكان جواب صمويل أن الله بعث لهم طالوت ملكا.. وكان طالوت هذا طويل القامة.. مهابا.. جميل الوجه.. ولكنه لم يكن ثريا.. وطالوت اسمه فى الكتاب المقدس «شاول».. ولم يعجب ذلك اليهود.. لأن طالوت ليس من نسل «لاوى» ولا من نسل «يهوذا».. وإنما من نسل «بنيامين».. كما أنه كان فقيرا.. وحاول صمويل إقناعهم بطالوت.. وأنه مؤيد من الله ودليل هذا التأييد كما يروى ذلك القرآن الكريم.

﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وانتظر الناس وعد الله.. فإذا جاء هذا التابوت الذى سبق أن أخذه الفلسطينيون عندما انتصروا عليهم فإن فى ذلك دليلا على تأييد الله سبحانه وتعالى لطالوت وأن يتولى الملك.. وتجمعوا أمام المعبد.. فإذا بالتابوت يهبط من السماء.. وهنا هتفوا به ملكا وقام صمويل يصب الدهن المقدس على رأسه، وأعلن طالوت ملكا على بنى إسرائيل وجهز طالوت جيشا كبيراً.. وحمل معه التابوت.. وأراد أن يمتحن طالوت جنوده ويعرف الصادقين منهم، فقال إنهم سيمرون على نهر، ومهما بلغ بهم الظمأ فلا يشربوا منه إلا حفنة

بسيطة بيدهم. .ولكنهم ما كادوا يرون النهر، حتى وجد أن معظمهم شربوا منه كثيراً يروون عطشهم بكل ما يملكون من قوة إلا القليل منهم. .وهنا عرف طالوت أن القلة التى سمعت كلامه هى التى سوف تصمد للقتال.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وتقدموا لمواجهة جيوش الفلسطينيين بقيادة جالوت. .وكان فارسا شجاعا. .وتهيب الجميع لملاقاة جالوت. .وكان طالوت قد أعلن أن من يقتل جالوت فسوف يزوجه من ابنته «ميكال». .وتقدم شاب صغير السن وهو داود عليه السلام يطلب مقاتلة هذا العملاق، وسخر منه جالوت، غير أن داود وقد جاء إلى ميدان القتال ليقدم بعض الطعام لإخوته الثلاثة وكانوا جنوداً فى جيش طالوت. .أصر أن يقاتل جالوت. .وأخرج مقلاعه ورمى به هذا الفارس فوقع من فوق حصانه مضرجا فى دمائه، وبسرعة تقدم داود ونزع سيفه واجتز رأسه وأخذها إلى طالوت. .وتزوج داود من ميكال، وأصبح قائدا للجيوش، حاول البعض أن يوغر صدرَ طالوت على داود، وعرفت ابنته بذلك وأخبرت زوجها داود الذى هرب من وجه طالوت خوفا على حياته.

وحدث أن قامت معركة بين الفلسطينيين قتل فيها طالوت، ونادى الناس بداود ملكا. .وهكذا أصبح داود ملكا ونبياً لبنى إسرائيل. . مؤيداً بالزبور. . وهوقصائد وأناشيد كان يرتلها داود بصوته الجميل. .ومن هذه المزامير التى بلغت ١٥٠ قطعة نرى فيها داود يسبح الله بصوته الجميل ويدعو الله. .ومن هذه المزامير مثلا هذا الدعاء.

*«اتكل على الرب وافعل الخير. واسكن الأرض وارع الأمانة».

* « تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك ».

* «كف عن الغضب واترك السخط، ولا تغر بفعل الشر لأن عاملى الشر يقطعون، والذين ينظرون الرب هم يرثون الأرض».

وعندما كبر داود فى السن، اعتزل الناس، ووجد أن أجمل لحظات وقته هى تلك التى يقضيها مترنما بالمزامير، وحاول ابن له اسمه «أدونيا» أن يفرض نفسه ملكاً. .إلا أن داود قام فى جمع من الناس خطيباً، وأعلن سليمان ملكاً وخليفة له.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: ١٥].

وأصبح سليمان ملكا على بنى إسرائيل ونبياً لهم. .وأعطاه الله ملكاً واسعاً عريضاً وسخر له الجن والرياح، وعلمه منطق الطير.

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا... ﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٢ ، ١٣].

والحديث عن سليمان عليه السلام، يستدعى الحديث عن قصته مع بلقيس ملكة سبأ التى قصها القرآن الكريم، فقد كان يجتمع سليمان بأفراد يمثلون الإنس والجن والطيور. .يسمع شكاياتهم، ويضع الحلول لها، وذات يوم تفقد الهدهد فلم يجده، وأقسم سليمان أن يعاقبه أو يذبحه إذا كان تخلفه بلا عذر مقبول. . وجاء الهدهد ليحكى له قصة مثيرة، فقد ذهب إلى مملكة سبأ، فوجد قوماً يسجدون للشمس من دون الله، وعلى رأسهم ملكة. .وطلب منه سليمان أن يأخذ خطابا إلى هذه الملكة يأمرها وقومها بالإسلام. . وأخذ الخطاب وألقاه من نافذة قصرها. .وقرأت بلقيس الخطاب، وعلمت أنه من سليمان وجمعت قومها.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣١].

لقد طلبت مشورة شعبها :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: ٣٢].

وكان ردهم أنهم أقوياء، لو أرادت أن تحارب سليمان فسوف يقفون خلفها، ولكنها آثرت السلامة لأنها تعرف ما تسببه الحروب من كوارث وأزمات.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

لقد حبذت أن ترسل بهدية إلى سليمان عليه السلام وأرسلت الهدية بالفعل، ولكن سليمان الذى آتاه الله الملك العريض ما كان له أن يقبل مثل هذه الهدية، وقررت هى أن تذهب بنفسها إلى سليمان للمفاوضة.. وعلم سليمان بذلك عن طريق الجن والطيور..

وسأل: من يستطيع أن يحضر عرشها.. واقترح عفريت من الجن أن يأتيه بالعرش قبل أن يقوم سليمان من مقامه، إلا أن رجلا ممن عندهم علم من الكتاب، وكان هذا الرجل وزيره «آصف بن برخياء» قال له:

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾﴾[النمل: ٤٠].

وبالفعل وجد سليمان العرش أمامه.

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

علم سليمان أن رحلة بلقيس من اليمن إلى الشام سوف تستغرق ثلاثة شهور، وأمر أن يبنى لها قصراً عظيماً.. عمل به أشهر المثالين والبنائين كما عمل به أيضاً الجن.. ووضع سليمان عرش بلقيس به.. وجاءت بلقيس واستقبلها سليمان استقبالا حافلا.. وهالها ما ترى من أنعم الله على سليمان.. إنه يحضر على بساط تحمله

الرياح. .ويستقبلها وحوله الوحوش والطيور. .وكان القصر أرضه من الزجاج الذى من تحته الماء. .وسارت بلقيس منبهرة بما ترى. .وما كادت تمشى على أرض القصر حتى رفعت ثوبها خشية إن يبتل من الماء الذى يجرى من تحت الزجاج. .وسألها سليمان أن كان هذا عرشها فقالت وهى منبهرة أنه يشبهه. .ويعبر القرآن الكريم عن هذا المشهد الرائع بقوله المعجز وبيانه الفريد:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٢ - ٤٤].

ولم تجد بلقيس وهى ترى كل هذه المعجزات إلا أن تؤمن بما آمن به سليمان عليه السلام بالله جلت قدرته وقالت:

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

أسلمت بلقيس لله. .وقيل أن سليمان تزوجها. .وقيل إنها رجعت إلى اليمن لتنشر الإسلام بين قومها. .وهكذا نرى دور المرأة فى حياة داود عليه السلام متمثلا فى مكيال، ودور المرأة فى حياة سليمان متمثلا فى بلقيس.

* * *